(١٠٥) سورة الفيل

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها خمس، نزلت بعد سورة الكافرون، تتحدث عن قصة أصحاب الفيل، حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة فردهم الله مخذولين وجعل كيدهم فى نحورهم وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم، وأرسل على جيش أبرهة الأشرم وجنوده الطير الأبابيل التى كانت تحملها فى أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة، ولكنها أشد فتكا وتدميرا من الرصاصات القاتلة حتى أهلكهم الله وأبادهم، وكان ذلك الحدث عام مولد الرسول ﷺ عام سبعين وخمسمائة ميلادية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾

معانى المفردات:

يجعل كيدهم: سعيهم لتخريب الكعبة المشرفة تضليل: تضييع وإبطال

طيرا أبابيل: جماعات متفرقة سجيل: طين متحجر محروق

كعصف مأكول: كتبن أكلته الدواب وراثته

التفسير:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ أى ألم يبلغك يا محمد ماذا صنع الله العظيم الكبير بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على بيت الله الحرام؟ قال المفسرون: روى أن "أبرهة الأشرم" ملك اليمن، بنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف إليها

الحجيج، فجاء رجل من كنانة وتغوط فيها ليلا ولطخ جدرانها بالنجاسة احتقارا لها فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، جاء مكة بجيش كبير على أفيال يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة فلما وصل قريبا من مكة فر أهلها إلى الجبال خوفا من جنده وجبروته أرسل الله تعالى على جيش أبرهة طيورا سودا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يدخل فى رأس الرجل ويخرج من دبره فيرميه جثة هامدة، حتى أهلكهم الله ودحرهم عن آخرهم وكانت قصتهم عبرة للمعتبرين[1] قال ابن مسعود: وتعليق الرؤية بكيفية فعله جل وعلا ﴿ كَيْفَ فَعَلَ ﴾ لا بنفسه بأن يقال "ألم تر ما فعل ربك" الخ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وشرف رسول الله ﷺ فإن من الارهاصات لما روى أن القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول ﷺ[2] ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أى ألم يهلكهم ويجعل مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة فى ضياع وخسار؟ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أى وسلط عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات متتابعة بعضها فى إثر بعض، وأحاطت بهم من كل ناحية ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أى تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر كأنها رصاصات ثقابة لا تصل إلى أحد إلا قتلته؟ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ أى فجعلهم كورق الشجر الذى عصفت به الريح وأكلته الدواب ثم راثته فأهلكهم عن بكرة أبيهم وهذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على صرف ذلك العدو العظيم عام مولده السعيد عليه الصلاة والسلام، إرهاصا بنبوته إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدى الأنبياء عليهم السلام وقد أهلكهم الله تعالى بأضعف جنوده وهى الطير التى ليست من عادتها أنها تقاتل[3].

---

(١) التفسير الكبير ٣١/٩٦ والقرطبى ٢٠/٥١٢.

(٢) تفسير أبو السعود ٥/٢٨٥.

(٣) البحر المحيط ٨/٥١٢.

الإعراب:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم وقلب، تر فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حرف العلة، كيف اسم استفهام فى محل نصب على المصدرية أو الحالية واختار الأول ابن هشام فى المغنى حيث قال وعندى بأنها تأتى فى هذا النوع مفعولا مطلقا أيضا والجملة المعلقة بالاستفهام سدت مسد مفعولى تر لأن الرؤية قلبية تفيد العلم الضرورى المساوى فى القوة والجلاء للمشاهدة والعيان، بأصحاب الفيل الجار والمجرور متعلقانْ بفعل والفيل مضاف إليه مجرور.
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم وقلب يجعل مضارع مجزوم بالسكون والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، كيدهم مفعول به أول والضمير فى محل جر بالإضافة، فى تضليل جار ومجرور فى محل نصب مفعول به ثان.
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ	الواو حرف عطف أرسل فعل ماض مبنى، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى، عليهم جار ومجرور متعلقّان بأرسل طيرا مفعول به منصوب أبابيل نعت منصوب لطير لأنه اسم جمع.
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ	ترميهم فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل مستتر تقديره هى والضمير فى محل نصب مفعول به، بحجارة جار ومجرور متعلقان بترميهم، من سجيل جار ومجرور نعت لحجارة.
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ	الفاء عاطفة، جعلهم فعل ماض مبنى والفاعل مستتر والضمير فى محل نصب مفعول به أول كعصف جار ومجرور فى محل نصب مفعول به ثان، مأكول نعت مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ والمراد به التقرير والتعجب.
- الإضافة إلى ذات الله تعالى فى قوله ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ لتشريف النبى ﷺ والإشادة بقدره.
- التشبيه المرسل المجمل فى تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

obeikandl.com